

أزمة الذات والهجوم

www.arabpsynet.com/Documents/DocChaabanSelf&ExistCrisis.pdf

د. شعبان امحمد فضل بشر

علم النفس - ليبيا

shabane64@yahoo.com



يلزمنا التحديد المنهجي ضبط مصطلحات هذه المداخل المكثفة حتى نتمكن من تحديد المقاربات ، ورسم أنموذج للفهم عبر مسار سردي لتاريخ الذات وعلاقتها بالوجود للتعرف على بنية تاريخها ومعاناتها وأحيانا ضبابيتها.

تعرف الذات بأنها الحالة الإنسانية الفردية والجمعية المجردة ضمن معطيات ثقافية واجتماعية واقتصادية مرتكزة على سياق زمكاني ، ويمكن مقاربتها ضمن الذات الموضوعية ، والتي تتمثل في مجموعة السمات الشخصية والنظرية الذهنية للفرد التي تمكنه من الفكر والفعل ، وقد صنفها تاريخ علم النفس العيادي ضمن مسارين:

1. الذات العاقلة.

2. الذات المجنونة

أما فيما يتعلق بالذات الفاعلة يمكن فهمها من خلال علاقة تلك الذات بالآخر وفاعليتها وأزماتها ، وقد تكون ذات واعية فاعلة واثقة متمكنة تشكل مسار جماعي واعي يؤدي إلى المعمار والنقش في الزمن الماضي ، والصنع والابتكار وقراءة قوانين الطبيعة في الزمن الحاضر ، وفي الطرف المقابل ذات انثربولوجية تحتكم إلى منظومة فكرية مغلقة تمجد الخرافة والأسطورة وتعاني من حالة عصاب جمعي.

يمكن فهم الذات المجنونة من خلال علاقتها بالوجود ، فهي تدخل في خطاب الفرز والعزل خلال مسار الذات الواعية ، والخرافة و الخارقة في مسار الذات اللاواعية والجمعية.

تعرف الذات بأنها
الحالة الإنسانية
الفردية والجمعية
المجردة ضمن
معطيات ثقافية
واجتماعية
واقتصادية مرتكزة
على سياق زمكاني

يمكن مقاربتها ضمن
الذات الموضوعية ،
والتي تتمثل في
مجموعة السمات
الشخصية والنظرية
الذهنية للفرد التي
تمكنه من الفكر
والفعل

بالذات الفاعلة
يمكن فهمها من
خلال علاقة تلك
الذات بالآخر
وفاعليتها وأزماتها

الوجود: علاقة بين الواقع المحيط والوعي الإنساني.

الوعي جوهر الحياة العقلية وبه تصبح طبيعة ومعاشة ، وبدونه تصبح شاقة وتبريرية ومأزومة.

تعتبر تاريخانية الذات وعلاقة بالوجود عن المسار الزمني بين فعل الولادة والموت ، الذي يتضمن

تاريخ علاقة الذات بالسلطة والدين والمجتمع ، كمراسم الزرع والحصاد والدفن والزواج والتنصيب

وغيرها ، ويمكن مقاربتها ضمن اللوحة التالية:



(1)

بين بعض الباحثين أن المعتزلة قد ابتدعوا التفريق بين الماهية والوجود ، وذلك من خلال التفريق

بين الذات والوجود ، وتمييز المعتزلة بين الوجود وصفات الذات. إذ تعتبر أن صفات الذات (صفات

الأجناس) مثل الجوهرية واللونية لازمة للذات، غير أن الوجود ليس صفة ذات، على عكس الجوهرية.

فالجوهرية صفة والوجود شرط تحقق الذات في الأعيان. ووجوب الوجود لا يثبت عند المعتزلة إلا

للذات الإلهية (2).

تعطي النظرية الدينية إيماءات عن الذات عبر مفاهيم الفرد والجنسانية والعلاقة والطبيعة

والنبذة والخلد والمُلك والأخلاق والعقوبة والنتية ، ويمكن اختصار فهم الذات خلال النظرية الدينية في

النقطتين التاليتين:

1. النظرية الدينية الوضعية من خلال تعدد الآلهة وأحادية السلطة القسرية الإنسانية ومركزية

يمكن فهم الذات
المجنونة من خلال
علاقتها بالوجود ،
فهذه تدخل في
خطاب الفرز والعزل
خلال مسار الذات
الواعية ، والخرافة و
الخارقة في مسار
الذات اللاواعية
والجمعية

المعتزلة قد ابتدعوا
التفريق بين الماهية
والوجود ، وذلك من
خلال التفريق بين
الذات والوجود

تمييز المعتزلة بين
الوجود وصفات
الذات. إذ تعتبر أن
صفات الذات
(صفات الأجناس)
مثل الجوهرية واللونية
لازمة للذات، غير أن
الوجود ليس صفة
ذات

تعطي النظرية
الدينية إيماءات عن
الذات عبر مفاهيم
الفرد والجنسانية

الذات المتسلطة.

والخلاقة والطبيعة
والنبوة والخلد والملك
والأخلاق والعقوبة
والتيه

تعبير النصوص
الدينية عن حرية
الوجود للذات
الكافرة و الذات
المؤمنة والذات
اليهودية والمسيحية
والبوذية والبدائية
وغيرها

تحتكر النظريات
الأيديولوجية
كالصهيونية حق
ذات عنصرية
عدائية مغتصبة في
تدمير ما هو غيرها ،
ضمن نصوص مزيفة
تعبير عن أزمات
ثقافية متعددة.

يُعبّر تاريخ علم
النفس عن أزمة
الذات مع الوجود
من خلال مفهوم الجرح
النرجسي.

2. النظرية الدينية السماوية من خلال توحيد الإله وحرية الذات الإنسانية وتعددتها، حيث تعبّر النصوص الدينية عن حرية الوجود للذات الكافرة و الذات المؤمنة والذات اليهودية والمسيحية والبوذية والبدائية وغيرها ، بينما تحتكر النظريات الأيديولوجية كالصهيونية حق ذات عنصرية عدائية مغتصبة في تدمير ما هو غيرها ، ضمن نصوص مزيفة تعبّر عن أزمات ثقافية متعددة.

يُعبّر تاريخ علم النفس عن أزمة الذات مع الوجود من خلال مفهوم الجرح النرجسي ، يعرف الجرح النرجسي بأنه حالة حب الذات ومن مقالة فرويد وغيره من كتاب مدرسة التحليل النفسي يمكن القول إن النرجسية هي :

1. أسطورة (نرجس) الذي وقع في حب نفسه من خلال خياله.
 2. الشخص النرجسي منغمس مع الآخرين ومندمج معهم ويعاملهم كما لو كانوا امتدادا له.
 3. تعبّر النرجسية عن إحدى مراحل النمو التي يمر بها جميع الأفراد ففي السنة الأولى من العمر نجد الطفل الصغير متمركزا حول ذاته (حيث يكون هو المركز) وبعد عدة سنوات ينتقل ليمركز حول الآخرين أي يبدأ الإنسان بحب ذاته ثم حبه للآخرين.
 4. مصطلح النرجسية في الحالات السوية يعبر عن تقدير الفرد ذاته واحترامها.
- ومن أبرز الجروح النرجسية للبشرية مفهوم الخطيئة ومحاولته التخلص منها عبر التعبد والتذلل والتزلف وأحيانا الرفض والعصيان ، و لقد وجه فرويد ضربة موجعة إلى الطمأنينة العلمية التي وسمت الفكر والثقافة الحديثين منذ الثورة الفرنسية، حين ذهب إلى أن السلوك الإنساني ليس محض عمليات واعية مردها إلى العقل والخبرة العملية.
- إنما العكس تماماً صحيح، فالعقل والوعي ومشتقاتهما ليسا سوى خادمين رسميين عند مؤسسة غير رسمية يطلق عليها: اللاوعي.

وقد أدى هذا الاكتشاف إلى إصابة البشرية الحديثة بنوع من "الجرح النرجسي" - والعبرة

الشخص النرجسي
منغمس مع الآخرين
ومندمج معهم
ويعاملهم كما لو
كانوا امتدادا له

تعبير النرجسية عن
إحدى مراحل النمو
التي يمر بها جميع
الأفراد

مصطلح النرجسية
في الحالات السوية
يغير عن تقدير
الفرد ذاته واحترامها

وجه فرويد ضربة
موجعة إلى
الطمأنينة العلمية
التي وسمت الفكر
والثقافة الحديثين
منذ الثورة الفرنسية،
حين ذهب إلى أن
السلوك الإنساني ليس
محض عمليات واعية
مردداً إلى العقل
والخبرة العملية

العقل والوعي
ومشتقاتهما ليسا

لجورج طرابيشي مترجم معظم أعمال فرويد - شبيه بذلك الجرح الذي أصابها عندما باغتها
كوبيرنيكوس - الذي لاقى ربه عقاباً له على جرأته - حين قال: الأرض ليست محور الكون!! (3).
وفيما يتعلق بالجرح النرجسي للذات العربية والإسلامية رأينا اقتباس النص التالي من غسان
المفلح (4) حيث كتب ضمن مقالته المشروع الغربي والإسلام السياسي قائلاً " المشروع الغربي -
حضارة واستعمار ، ثقافة واستغلال ، حقوق إنسان / لم نعرفه بعد ولم نعرفه أيضاً !! / وإسرائيل
وسجن أبو غريب ، نيتشه وماركس وفايسبندر والروليت الروسي من جهة وزورو ورامبو وصاموئيل
هنتغتون وصدامه مع الحضارة الإسلامية - عن أية حضارة إسلامية التي سيتصادم معها و يتحدث
عنها السيد صاموئيل هذا ما لم نعرفه في الواقع !! لا من كتابه ولا من ما كُتب حول هذا الكتاب ؟!!
شبنغلر وفوكوياما من جهة يورغن هابرماس وميشيل فوكو .. من جهة أخرى ، هذا هو الجرح العميق
في هذا المشروع ، هذا التناقض الصارخ والكلي و الأساسي في هذا المشروع الكوني بامتياز ، هذا
الجرح النرجسي الذي حفر فيه ماركس ونيتشه وفرويد عميقاً قبل أن يُهزمون من قبل التلفزيون
الأمريكي أو التلفزيون الغربي كأكبر مصدر قيمي وثقافي عرفته البشرية في تاريخها كله .. ونسبنا
الأهم [الفوكس فاكن من جهة وهتلر من الجهة الأخرى أو من نفس الجهة لا نعرف في الواقع ؟!!]
أليست أوروبا هي منذ أكثر من قرنين من بدأت بتصدير مفهوم - الهوية بكل حمولاته المعرفية
والثقافية والسياسية و حتى القيمية اللاشعورية بالمعنى الوجداني للمفهوم ... إنه التناقض الذي صدر
للعالم مع السيارة ومع البيبيسي كولا ولازال يصدر مع الإنترنت ومشروع الديمقراطية والحكم الرشيد عبر
السياسة الأمريكية والأمم المتحدة وموافقة مجموعة الثماني الكبار في العالم ، التناقض بين تحويل
العالم إلى غربي الهوى وبين ما تخلفه هذه المحاولة من مأس وحروب هوية واقتتال طوائف وأقليات و
اكتريات ودول تنهار ويعاد تشكيلها من جديد ، بين مشروع الشرق الأوسط الجديد في قضية
الديمقراطية وحقوق الإنسان وبين ترك الشعب الفلسطيني بلا مأوى؟ المواطن العربي والمسلم العادي
لا يعرف مفهوم الأولويات في السياسة الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً ، كيف له أن يتفهم هذا
التناقض الصارخ في الدعوة الأمريكية للديمقراطية ؟!!.

1. http://2.bp.blogspot.com/_dSZQ_FbAxSA/Sni61xc0oVI/AAAAAAAAAB8A/hf0slPqeOag/s1600-h/egyptian-religion.jpg
2. <http://www.balagh.com/mosoa/falsafh/u512cdn6.htm>
3. <http://marhoon1978.jeeran.com/categories/%D8%A8%D8%B1%D8%A8%D8%B1%D8%A9/>.
4. <http://www.mokarabat.com/s730.htm>.

*** **

Arabpsynet

Subscribe To APN

<http://www.arabpsynet.com/Subs.asp>

Arabic Edition

<http://www.arabpsynet.com/defaultAr.ASP>

English Edition

<http://www.arabpsynet.com/defaultEng.ASP>

French Edition

<http://www.arabpsynet.com/defaultFr.ASP>

*** **

خريف / شتاء 2012/2013 : فلي المصطلح النفسي العربي

المعجم الموسع للعلوم النفسية (الاصدار العربي)

عربي - انكليزي - فرنسي

تغيير" ترجمة مصطلح أو ادراج" مصطلح عربي جديد في قاعدة البيانات

<http://www.arabpsynet.com/propar/arPropForm.htm>

البحث في المعجم النفسي العربي

<http://www.arabpsynet.com/AR/SearchArForm.htm>

المعجم الموسع للعلوم النفسية (الاصدار الفرنسي)

فرنسي - انكليزي - عربي

تغيير" ترجمة مصطلح أو ادراج" مصطلح فرنسي جديد في قاعدة البيانات

<http://www.arabpsynet.com/propfr/FrPropForm.htm>

البحث في المعجم النفسي الفرنسي

<http://www.arabpsynet.com/eng/SearchEngForm.htm>

المعجم الموسع للعلوم النفسية (الاصدار الانكليزي)

انكليزي - فرنسي - عربي

تغيير" ترجمة مصطلح أو ادراج" مصطلح انكليزي جديد في قاعدة البيانات

<http://www.arabpsynet.com/propeng/engPropForm.htm>

البحث في المعجم النفسي الانكليزي

<http://www.arabpsynet.com/eng/SearchEngForm.htm>